اســـم الكتـــاب :

الرفيــق الصـالح
كحـامل المسـك

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

الرفيق الصالح
كحامل المسك

مُقَدِّمَة

في رحلة الحياة، لسنا وحدنا. نُخالط، نُصاحب، نُجالس .. لكنْ ما لا يدركه كثيرون هو أن الصحبة ليست أمرًا عابرًا، بل هي بيئة تُشكِّلك، وتؤثر على قلبك، وسلوكك، ومصيرك. ولهذا، لم يُترك الأمر للصدفة. بل نبَّهنا النبي ﷺ بقوله العظيم: «مَثَلُ الجليسِ الصالحِ والجليسِ السوءِ، كمثلِ صاحبِ المسكِ ونافخِ الكيرِ...».

[أخرجه البخاري (2101)، ومسلم (2628)]

فاختر من تُجالس، لأن من تجلس معه اليوم... قد يُقرِّبك من الجنة، أو يدفعك إلى طريق لا تُحب عاقبته.

الرفيق الصالح
كحامل المسك

عنـاصر الموضـوع

1. اختر الجميل يُردُّ إليك أجمل
2. لماذا يُقابَل الإحسان بالجفاء؟ بين طبع البشر وحكمة الابتلاء
3. ارحَم تُرحم... وارتَح بالرضا لا بالتوقعات
4. قابل الإساءة بالحكمة... لا بالمثل
5. وصية نبوية في اختيار الجليس
6. الجليس... طريقٌ إلى الطيب أو النار
7. حامل المسك... الخير المتنقّل
8. نافخ الكير... الأذى المتنقّل
9. القلب مثل مرآة... سريع التأثر
10. كلمة... قد تضيء قلبًا، أو تطفئه
11. المجالس الطيبة... رياضٌ للقلب والروح
12. مجالس الجفاء... تطفئ النور من القلب
13. الجليس الصالح... ربحٌ مضمون
14. علامات الصحبة الصالحة
15. جليس السوء
16. علامات الصحبة السيئة
17. مثال الجليس الصالح
18. مثال الجليس السوء

اختر الجميل يُردَّ إليك أجمل

الحياة تُشبه المرآة، تعكس لك ما تقدِّمه. فإن سهَّلت على الناس أمورهم، وبذلت جهدك في تفريج كرباتهم، سهَّل الله لك ما استعصى، وفتح لك من الأبواب ما لم تتوقَّعْه. وإن جعلت من نفسك عونًا للضعيف، وسندًا للمحتاج، وبلسمًا للجريح، أعانك الله وقت الشدة، وأرسل لك من عباده من يحنو عليك حين تحتاج.

لكن .. إن جعلت حياتك ضيقًا على من حولك، وأثقلت كاهلهم بكلماتك أو مواقفك، وصعَّبت ما كان يمكن أن يُيسَّر، فانتظر من الأقدار أن تردَّ لك ذلك.

أسعِد الناس تُسعَد، وامسح دمعة أحدهم؛ ليجفف الله دموعك في لحظات لا يراها أحد. كن رحيمًا...يُرحم قلبك في المواقف التي لا يراها أحد سواه. اجعل رضاك عما قسم الله لك عادة، فيرضيك الله في الدنيا والآخرة. يجعل الله لك كل خطوة بركة، تمشي على الأرض ورضاه يُحيطك، وكل باب تقف عنده يُفتح، وكل الأمور العسيرة تُيسَّر .. إذا يسَّرت على عباده، يسَّر الله لك.

مشاعر كثير من الناس الذين مرُّوا بتجارب مؤلمة ومربكة مع من حولهم. نلخِّص المسألة في ثلاثة أبعاد: سلوكك، وسلوك الآخرين، وطبيعة الدنيا نفسها. دعني أرتِّب لك هذا الموضوع بأسلوب تأملي وعلمي وواقعي:

لماذا يُقابَل الإحسان بالجفاء؟
بين طبع البشر وحكمة الابتلاء:

كثيرون يقولون: "كلما حاولت إرضاء الناس، تغيروا عليَّ". "كلما أحسنت، قابلوني بالجفاء أو التجاهل". "قدَّمت المعروف... فما رأيت شكرًا، بل لؤمًا أو حتى قطيعة!" .. فهل الخطأ فيك؟ أم فيهم؟ أم أن هذه طبيعة الحياة والبشر؟

أ- أحيانًا... الخطأ ليس فيك:

ليس بالضرورة أنك ارتكبت شيئًا خاطئًا. في كثير من الحالات، الناس يتغيرون لأسباب داخل نفوسهم لا علاقة لك بها:

- الغيرة: من نعمة أعطاك الله إياها (أخلاق، قبول، رزق، نجاح).
- الحسد: لا لشيء، فقط لأنك بخير، وهم ليسوا كذلك.
- الضيق النفسي: فتكون أنت هدفًا لتفريغ ألمهم.
- صراع داخلي: فيشعرون بالنقص أمامك، دون أن تفعل شيئًا.

ب- طبع الناس متفاوت:

الله خلق الناس على اختلاف طبائعهم:

- من يحب المعروف ويشكر عليه،

- ومن ينكر الجميل ويجحده،
- ومن يؤذيك فقط لأنك أفضل منه في أمرٍ ما.

قـال النبـي ﷺ: « **أُمِـرْتُ أَنْ أُوصِـلَ مَـنْ قَطَعَنِـي، وَأَعْفُـوَ عَمَّـنْ ظَلَمَنِـي، وَأُعْطِـيَ مَـنْ حَرَمَنِـي** ».

رواه الإمام أحمد في مسنده (١٧٩٢٨)، وصححه الألباني في "صحيح الترغيب" (٢٥٢١)

ليس لأن الناس يستحقون، بل لأنك أنت ترتقي.

ج- لا تجعلهم يمنعونك من فعل الخير:

أكـبر خسـارة أن تُطفـئ في قلبـك نـور العطـاء بسـبب سـوء النـاس. فمـن تـرك العمـل الصالـح لأن النـاس لا يشـكرون، فقـد جعـل نيتـه لأجـل النـاس... لا لأجـل اللـه .. اعمـل للـه... ولـو لم يشـكرك أحـد. واصـبر عـلى إحسـانك، لأنـه سـيعود إليـك مـن اللـه، لا منهـم. فـإن الخـير لا يضيـع عنـد اللـه أبـدًا.

لكن لماذا يُقاطعك البعض دون مبرر؟

من الأسباب النفسية والاجتماعية:

- شعورهم بالدونية: يرون فيك تذكيرًا بنقصهم.
- خوف من التميز: لا يريدون لأحد أن يتفوَّق عليهم ولو بأخلاقه.
- ضعف مهارات التواصل: يفسرون النصيحة تهجمًا، أو اللين تملقًا.
- التأثـر بـكلام الغـير: قـد يقاطعـك أحدهـم لأنـه سـمع عنـك شـيئًا مغلوطًـا مـن طـرف حاقـد.

الـــرد الإيمـــاني:

- ما دمت على الحق... فلا تندم.
- وما دمت تُحسن... فلا تيأس.
- اصبر... فإن الله لا يضيع أجر المحسنين؛ قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ، لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾ [الإنسان: ٩].
- الناس لا يعطون دائمًا بقدر ما تُعطي.
- فاعمل الخير لله وحده، لا لرضى الناس.
- والقلوب التي تغيرت... ليست مسؤوليتك، بل مرض لا تحمله عنهم.

ارحَم تُرحم... وارتَح بالرضا لا بالتوقعات:

في الحديث الشريف: «**جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، كم نعفو عن الخادم؟ فصمت، ثم أعاد عليه، فصمت، ثم في الثالثة قال: «اعفُ عنه في كل يوم سبعين مرة».**

أخرجه أبو داود (٥١٦٤)، والترمذي (١٩٤٩) باختلاف يسير

كم نحن بحاجة اليوم لهذا الخُلق العظيم! أن نعفو ونصفح، ألا نحمل في قلوبنا ما يثقّلها، فالعفو ليس ضعفًا، بل قوة من الداخل... وسلام من الله .. الذي يُتعب الإنسان... ليس واقعه بل تفكيره.

كثير من الناس يتعبون من أشياء لا وجود لها:

- الخوف من شيء لم يحدث بعد.
- القلق من موقف لا يزال في علم الغيب.
- الألم من ماضٍ انتهى ولن يعود.

إنها الأفكار التي تَعلق في العقل، وتستنزف الروح، وليس الواقع كما هو .. فإذا أردت الراحة حقًا... فافصل قلبك عن الناس، ولا تجعل سلوك الناس ميزانًا لسعادتك:

- تعاملهم لا يجب أن يتحكم في مزاجك.
- رضاهم لا يجب أن يحدد قيمتك.
- تقلبهم لا يجب أن يربكك.

أسوأ شيء... أن تصدمك طبائع بشرية متكررة! لا يزال البعض ينصدم من مواقف الناس:

- مع أنهم يعرفون طبع الدنيا.
- ويعلمون أن القلوب تتغير، والوجوه تتبدل.

فلا تكن ساذجًا في الثقة، ولا قاسيًا في الرد، ووازن بين العقل والرحمة، والعفو والحذر .. خفِّف على نفسك... تسعد .. اربط سعادتك بالله... لا بالبشر .. وابدأ اليوم بسؤال نفسك: هل ما أتعبني... حقيقي؟ أم هو مجرد فكرة صنعتها في رأسي؟

قابل الإساءة بالحكمة... لا بالمثل:

لا تحمـل عـبء مشـاعر ليسـت لـك .. المشـاعر السـلبية التـي تحملهـا تجـاه مـن أسـاؤوا إليـك تـدور في عقلـك أنـت، لا في عقولهـم. وتعكّـر مزاجـك أنـت، لا مزاجهـم. وتسـتهلك مـن طاقتـك أنـت، وليـس مـن طاقتهـم. فمـن الظلـم أن تكـون أنـت المجـروح... وأنـت مـن يسـتمر في النزيـف. الآخـرون ربمـا نسـوا، أو لم يشـعروا بمـا فعلـوه .. بينـما أنـت لا تـزال تعيـد المشـهد في ذهنـك!

حـين يُقابـل إحسـانك بالجفـاء... كيـف ترتقـي ولا تنكـسر؟ كيـف تتعامـل مـع هـذه المواقـف؟

١. **افهـم أن المشـكلة ليسـت فيـك دائمًـا:** غالبًـا مـا تعكـس تصرفـات النـاس اضطرابهـم هـم، وليـس عيبًـا فيـك. الناقـص داخليًـا... يـرى فيـك تهديـدًا حتـى لـو كنـت طيبًـا.

٢. **لا تـرد بالمثـل:** مـن السـهل أن تنفجـر... ومـن الحكمـة أن تسـمو. الهـدوء وقـت الغضـب، هـو قمـة القـوة.

٣. **اسـتمر في تطويـر نفسـك:** دع نجاحـك يكـون ردك. لا تثبـت لأحـد أنـك جيـد... أثبـت لنفسـك أنـك تتقـدم.

٤. **اخـتر محيطـك بـذكاء:** ليـس كل مـن يبتسـم في وجهك يُعـد صديقًا. ولهـذا لا بـد أن تتأمـل في حقيقـة مـن تُجالـس، لأن الصحبـة تؤثـر فيـك ولـو لم تشـعر. قـد تُصـاب بـأذى دون أن تـدري، لمجـرد قربـك مـن أصحـاب الطبـاع السـيئة، ومـن هنـا جـاءت وصيـة النبي ﷺ،

الذي دلَّنا على معيار دقيق نزن به من نصاحب ونجالس؛ فجليس الخير لا بد أن ينفعك، وجليس السوء لا بد أن يضرك، فإن كان الجليس خيرًا... فخير، وإن كان شرًّا... فشر.

وصية نبوية في اختيار الجليس:

اختيار من تُجالس ليس أمرًا هامشيًا... بل هو قرار يصوغ شخصيتك، ويؤثر في دينك، وعقلك، وقلبك، ومسارك في الحياة. ولهذا لم يترك النبي ﷺ هذا الأمر دون توجيه، بل شبَّهه تشبيهًا بليغًا لا يُنسى، حين قال ﷺ: « **مَثَلُ الجليسِ الصالحِ والجليسِ السوءِ، كمثلِ صاحبِ المسكِ ونافخِ الكيرِ...**».

أخرجه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨)

من أراد أن يُحسن اختيار من يُجالس، فليتأمل في توجيه النبي ﷺ في حديثه الشريف عن الجليس الصالح وجليس السوء، ففيه ميزانٌ دقيق يرشدك إلى من تُجالس وتُصاحب، ويبين لك أثر الجليس على دينك ونفسك وسلوكك .. فمن خالط الطيبين... طاب، ومن عاشر المؤذين... احترق.

وسؤال مهم هنا: لما الناس يعاملونا بسوء .. هل المشكلة فيهم؟ أم فينا شيء نحتاج ننتبه له؟

الإجابة: أحيانًا فيهم، وأحيانًا فينا. فكُن صادقًا مع نفسك، وراجعها بلطف، وابدأ بالتغيير منك، لا لأجلهم، بل لأجل نفسك.

فبهـذا الحديـث، اختـصر الرسـول ﷺ أسـلوب حيـاة متكامل، يرشـدنا لاختيـار الجليـس الـذي يزيدنـا نـورًا، ويرفعنـا خلقًـا، ويبعدنـا عن شـوائب القلـوب وضوضـاء النفوس.

٦

الجليس... طريقٌ إلى الطيب أو النار:

قـال النبـي ﷺ: « **مَثَـلُ الجليـسِ الصالـحِ والجليـسِ السـوءِ، كَحَامِـلِ المسـكِ ونافـخِ الكـيرِ...**».

[رواه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨)]

حامـل المسـك: هـو بائـع الطيـب أو مـن يملـك المسـك، وهـو نـوع مـن أطيـب أنـواع العطـر، يُسـتخرج غالبًـا مـن غـزال المسـك.

نافـخ الكـير: شـخص يعمـل في الحـدادة، ينفـخ النـار، ويحيـط بـه الدخـان والرائحـة الكريهـة، وقـد تتطايـر شراراتـه فتحـرق ثيـاب أو جسـد مـن يقـترب منـه

وجه الشبه بين حامل المسك و الرجل الصالح:

١-صحبة تلهمك الخير:

- حامـل المسـك: إن لم يـشركك في طيبـه (بيعًـا أو هديـة)، فقـط قربـك منـه يجعلـك تشـم رائحـة طيبـة.
- الرجـل الصالـح: إن لم يعظـك أو ينصحـك مبـاشرة، فمجـرد صحبتـك لـه تُلهمـك الخـير، وتجعلـك تحـب الطاعـة وتكـره المعصيـة.

٢. الخير دائم ومتجدد:

- حامـل المسـك: إمـا أن يهديـك .. أو تشـتري منـه .. أو فقـط تشـتمَّ منـه ريحًـا طيبـة.
- الرجـل الصالـح: إمـا أن يعلمـك .. أو يذكِّـرك بالله .. أو يدعـو لـك، ويحمـي غيبتـك، أو تـرى في أفعالـه قـدوة صالحـة.

٣. لا ضرر من قربه، بل راحة وسكينة:

- الجلـوس مـع صاحـب المسـك لا يحمـل ضررًا، بـل الرائحـة الزكيـة تدخـل الـسرور عـلى النفـس.
- وكذلـك الجلـوس مـع الرجـل الصالـح يريـح القلـب، ويزيـد الإيمـان، ويغـرس في النفـس الطمأنينـة.

خلاصـة وجـه الشـبه: الرجـل الصالـح كحامـل المسـك: إن لم يُعطِـك خـيرًا بيـده، أعطـاك بحديثـه .. وإن لم يُعطِـك بحديثـه، فبأخلاقـه .. وإن لم يُعطِـك بـشيءٍ ظاهـر، فـمجالسته تكفـي، فهـي تهـذِّب القلـب وتنعـش الـروح؛ فهـو ربـحٌ مـن كل وجـه، ولهـذا كان الجليـس الصالـح نعمـة عظيمـة، ومـن علامـات التوفيـق.

إذا جلست مع هذا الشخص الصالح، فأنت في خير دائم:

- إمـا أن يُعطيـك مـن طيبـه (يعنـي ينفعـك بكلامـه أو فعلـه أو دعائـه)،
- أو تشتري منه (تتعلم منه أو تستفيد بوعظه)،
- أو عـلى الأقـل تشـم منـه ريحًـا طيبـة (تشـعر بالراحـة والنفـع بقربـه).

فهو نافع في كل الأحوال، سواء أعطاك أو لم يعطك.

وجه الشبه بين "نافخ الكير" مع (رجل السوء):

- نافـخ الكـير: هـو الحـداد شـخص يعمـل في الحـدادة، الـذي ينفـخ النـار عـلى الفحـم ليُسـخِّن الحديـد. وكان يسـتخدم الكِـير، وهـو أداة تشـبه المنفـاخ.
- إذا جلسـت مـع نافـخ الكـير، فـلا تنتظـر منـه إلا الـضرر: إمـا أن يحـرق ثيابـك وجسـدك (أي يـضرك مـن الـشرار المتطايـر) .. أو تشـم منـه ريحًـا خبيثـة (أي تتأثـر بالدخـان ورائحـه الاحـتراق الكريهـة).
- فهو ضارٌ في كل الأحوال، ولو لم تقصد الضرر.

ورجل السوء يشبه نافخ الكير من عدة وجوه:

١. **ضرره لا يسـلم منـه أحـد:** قـد يؤذيـك بكلامـه، أو سـلوكه، أو حتـى بمجـرد الجلـوس معـه (نميمـة، غيبـة، فُحـش، سـوء خلـق).

٢. **تأثـيره سـلبي دائـم:** إن لم يـضرك مبـاشرة، فَسَـدَ سـمعُك أو بـصرُك أو قلبُـك بمجالسـته.

٣. **يجعـل القلـوب قاسـية:** كـما أن الكـير يقسِّي الحديـد، فمجالسـة أهـل السـوء تقسي القلـوب وتزيـل الحيـاء.

بعبـارة موجـزة: رجل السـوء كنافخ الكير: إما أن يؤذيـك مباشرة بكلامه وأسـلوبه، فهـو كالـشرار المتطايـر .. أو يُفسـد أخلاقـك، ومزاجك، وسُـمعتك، ولـو دون أن تقصـد (مثـل الريـح الخبيثة التـي تصيبك بمجـرد الجلوس).

ولذلـك: النبـي ﷺ لم يُشـبِّه الجليـس السـوء بشـخص عنيـف أو مـؤذٍ فقـط، بـل بنافـخ الكـير تحديـدًا، لأن هـذا الـضرر مسـتمر، محيـط، لا مفـرَّ منـه... تمامًـا كرفقة السـوء.

فالرسالة النبوية: "لا تُجالس من كان ضرره مستمرًا، ولو لم يؤذك بيده، فإن الأثر يصل إليك شئت أم أبيت".

يبيّن لنا النبي ﷺ أن من تجالسهم اليوم، يتركون في قلبك وعقلك أثرًا لا يُمحى، سواء شعرت به أم لم تشعر.

٧
حامل المسك... الخير المتنقِّل:

ينشرح له الصدر، ويطمئن له القلب .. مجرد ذكره يُشعرك بالسكينة والخير .. قلبه نقي، لا غش فيه ولا خيانة، لا حقد ولا حسد .. يريد لأخيه ما يحب لنفسه .. يذكِّرك إن نسيت .. ويعينك إن احتجت .. وينصحك إن غفلت.

مثل العطار: تمُرُّ به، فتنتفع دون أن تقصد: إما أن يُعطيك من طيبه، أو تشتري منه، أو تشم رائحة طيبة فقط بجواره، حتى دون نية الشراء، حتى دون أن تطلب شيئًا، فقط جوارك له كافٍ للانتفاع، وتشمُّ الرائحة الطيبة دون أن تدفع ثمنًا لها.

الجليس الصالح: قد أُمِن شرُّه، وتحقق خيرُه؛ هو ذلك الصديق الطيّب، الذي: إما أن يهديك شيئًا طيبًا (كلمة، نصيحة، دعاء) .. أو تشتري منه (تتعلم منه، تكتسب خلقًا أو علمًا) .. أو على الأقل تشم منه رائحةً طيبة (تأثير إيجابي بدون مقابل) .. مجالسته راحة... وحديثه شفاء... ووجوده بركة؛ وإن لم يُعطك شيئًا، فمجرد وجوده يزكّي نفسك، ويهذب قلبك.

نافخ الكير... الأذى المتنقِّل:

هـو ذلـك الإنسـان الـسيء، الـذي: إمـا أن يحرقـك (شرارة مـن كلامـه، أو فعله) .. أو أن تجـد منـه رائحـة خبيثـة (كلام بـذيء، سـب، غيبـة، صخـب) .. تجلـس معـه فتعـود بقلـب أثقـل، ونفـسٍ أقـل طمأنينـة .. مجالسـه لا تخلـو مـن قـذف، أو اسـتهزاء، أو ضوضـاء، تُذهـب الحيـاء.

والخطـر الأكـبر؟ أنـك مـع الوقـت تعتـاد هـذا السـوء دون أن تـدري! كـما أن مـن يعيـش في مدبغـة الجلـود لا يعـود يشـعر برائحتهـا الكريهـة، لأنـه ألفهـا وتبلَّـد إحساسـه، كذلـك مـن يكـثر مـن مجالسـة أهـل السـوء .. تتسـلل طباعهـم إليـه، وتضعـف مناعتـه القلبيـة شـيئًا فشـيئًا، حتـى يُصبـح مـا كان ينكـره بالأمـس شـيئًا عاديًـا، لا يحـرِّك لـه سـاكنًا، وربمـا يـراه "ذكاءً" أو "واقعيـة" .. وهنـا مكمـن الخطـر: حـين تبهـت بصيرتـك... وتُبـدَّل الفطـرة... دون أن تلاحـظ.

القلب مثل مرآة... سريع التأثر:

فاخـتر جليسـك بعنايـة، فالقلـب مـرآة، والمجالسـة طَبـع يُـسرق؛ "القلـب أشـد تأثُّـرًا مـن المـرآة، اذا وضعـت إصبعـك عـلى المـرآة ينطبـع أثـر الإصبـع عليهـا بسرعـة، والقلـب أشـد تأثـرًا .. يكفـي أن تلمسـه بكلمة،

أو نظرة، أو رفقة... فينطبع فيها الأثر".

لذلك، لا تستهِن بمجلس واحد مع من لا يخاف الله، فالكلمة السيئة تُضعف نور الفطرة، والمجلس الملوث يُميت القلب بالتدريج.

احذر أن يفسد قلبك من حيث لا تشعر .. فكم من إنسان كان صالحًا، ثم تغير بسبب صحبة فاسدة .. وكم من قلب كان نقيًا، فاسودَّ بالحديث المسموم والمجالس الملوَّثة .. وكم من الناس ظُلموا بسبب من يجالسونهم فقط! "أقلُّ ما يصيبك من جليس السوء... أن يُسِيء الناس الظن بك".

إن الصحبة ليست مجرد علاقة... بل أثر مستمر في دينك ونفسك وقلبك، فاجعل حولك من إذا نسيت، ذكَّروك بالله، وابتعد عمَّن إذا جالستهم، ضعف إيمانك، وثقل صدرك، وانطفأ نور قلبك.

١٠

كلمة... قد تضيء قلبًا، أو تطفئه:

الإنسان بطبيعته مرهف .. قد تغيِّره كلمتان من المديح، وقد تجرحه همسة من الذم أو التوبيخ، مهما بلغ من تهذيب النفس، والتجرد لله، فإن القلب يبقى يتأثر بما يسمع، ويشعر، ويُقال له.

فكيف بالكلام الجارح؟! كيف بالكلمات العنيفة، أو المواقف القاسية التي تجرح المشاعر وتُطفئ الحماسة؟!

المجالس الطيبة... رياضٌ للقلب والروح:

هنـاك أُنـاس... كلامهـم كالثمـر الطيـب، ينتقونـه كـما تُنتقـى أطايـب الفاكهـة .. كلامٌ يرفـع المعنويـات، ويدعـو للخـير، وينشر السـلام .. إذا ذكرت اللـه معهـم، زادوك ذكـرًا .. وإذا نسـيت، ذكَّـروك .. وإذا جلسـت بينهـم، شـعرت بالسـكينة والرحمـة؛ **"هُـم القَـوم لا يَشـقى بِهِـم جليسُـهم"**.

أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩)

هـؤلاء إذا نزلـت عليهـم المغفـرة والرحمـة، شـمِلت مـن جلـس معهم، وإن لم يكـن منهـم!

مجالس الجفاء... تطفئ النور من القلب:

في الجانـب الآخـر .. هنـاك مجالـس لا تُبقـي كرامـة، ولا تُحفـظ فيهـا حرمـة، لا تسـمع فيهـا إلا السـبَّ، والسـخريةَ، والنقـدَ الجـارحَ .. تخـرج منهـا بثقـل في صـدرك، وظلمـة في قلبـك، كأنـك خرجـت مـن فـرن دخـان لا هـواء فيـه ولا راحـة.

« النَّاسُ أَسْرَابٌ كَأَسْرَابِ الْقَطَا، جُبِلُوا عَلَى تَشَبُّهِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ » .

فالطبـع لـص... والطبـع سَرَّاق .. إذا جالسـت الكرمـاء، كَرُمـتَ .. وإن صاحبـت الفجـار، فَجَـرْتَ .. والقلـب لا يسـلم مهـما حـاول صاحبـه!

كن حيثُ الطيب .. اختر جليسًا إذا ذكرت الله أعانك، وإذا نسيت ذكَّرك .. اجلس مع من إن ضحك، لم يُسخِط الله، وإن نصح، رقَّ قلبك .. وابتعد عن المجالس التي تُشوِّه صفاء قلبك، وتُطفئ أنوار الخير فيك؛ فالمجالس الطيبة ليست ترفًا... بل ضرورة لحفظ قلبك.

تفقَّد قلبك .. وتفقد رفقاءك .. تفقَّد حالك، انظر في قلبك، في صحبتك، في أثر من تجالس .. ولا تعش كما تعيش الأنعام تأكل وتشرب وتنام بلا وعيٍ ولا بصيرة؛ فقد أكرمك الله ووهبك العقل وميَّزك عن سائر المخلوقات.

واعلم أن المخالطة تُؤثِّر فيك، وأن الجليس يُغير قلبك، يشكِّل فكرك، ويصنع وجهتك .. فانظر من تُخالط؟ من تصحب؟ من تجلس معه؟ من تُؤمن له قلبك وسرك؟

حديث النبوة يرسم لنا الطريق .. عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **« مَثَلُ الجليسِ الصالحِ، وجليسِ السوءِ، كحاملِ المسكِ، ونافخِ الكيرِ»**. (متفق عليه).

١٣

الجليس الصالح... ربحٌ مضمون:

كل أحوالك معه خير: إن لم يُعطِك علمًا، أعطاك قدوة .. إن لم يُهْدِك نصيحة، أغناك بسكوته عن غيبةٍ وشر .. إن لم تبتع منه مسكًا، فستعود من مجلسه برائحة الإيمان .. معه تسلم من الفتن، وتصفو نفسك، وتنشرح صدرك .. حتى لو لم يتكلم... أثره طيب.

ثمـرة الصحبـة الصالحـة .. رائحـة مسـك لا تـزول .. الإنسـان مجبـول عـلى التقليـد والاقتـداء .. ولذلـك فـإن الجليـس لا يكـون حياديًـا في حيـاة صاحبـه .. بـل إمـا أن يدفعـه إلى الخـير، أو يجـرُّه إلى الـشر.

قـال الحسـن البـصري رحمـه اللـه: "اصحـب مـن إذا صاحبتَـه زانـك، وإذا غِبـتَ عنـه صانـك، وإذا ذكـرتَ أعانـك، وإذا نسـيتَ ذكَّـرك".

ورد الـكلام مشـتملاً في بعـض الكتـب الدعويـة كـ "آداب الحسـن البـصري وزهـده ومواعظـه" لابـن الجـوزي

فأقـل مـا يُجنـى مـن جليـسٍ صالـح: أن تكـفَّ عـن السـيئات حيـاءً منـه، أو احترامًـا لصحبتـه .. أن تنافسـه في الخـير، فتحـرص عـلى الزيـادة .. أن تترفَّـع عـن المعـاصي لتكـون عـلى مسـتواه الأخلاقـي أو الدينـي .

فـما أجمـل أن تصاحـب مَـن: يحفـظ عرضـك في غيابـك، كـما لـو كنـت أمامـه .. يذكـرك بخـير، ويدعـو لـك حيًـا وميتًـا .. لا يَمَلُّـك، ولا ينـسى معروفـك .. يـسُرُّك حديثـه، ويـشرح صـدرك كلامـه .. يقـودك إلى مجالـس الذكـر، وحِلَـق العلـم، وبيـوت الطاعـة .. يُزَيِّـن لـك الطاعـة، ويقبِّـح لـك المعصيـة .. وإن لم تُـرد شـيئًا منـه... يكفيـك أنـه لا يـضرك؛ فهـو كحامـل المسـك: إمـا أن يعطيـك، أو تشـتري منـه، أو تجـد منـه ريحًـا طيبـة ؛ فانظـر في صحبـك .. فإنهـم صورتـك القادمـة.

قـال بعـض السـلف: « **اعْـرِفِ الرَّجُـلَ بِمَـنْ يُصَاحِـبْ، فَـإِنَّ الطَّبْـعَ سَرَّاقٌ**».

تنسـب إلى الإمـام ابـن الجـوزي – رحمـه اللـه –، وقـد وردت في كتابـه القيِّـم "صيـد الخاطـر"، تحـت عنـوان "الطبـع السـارق"، في الصفحـة ٦٦٢.

فاصحب من يدلك على الله، ويذكِّرك به، ويعينك على طاعته.

قـال مالـك بـن دينـار -رحمـه اللـه-: «إنـك إن تنقـل الأحجـار مـع الأبـرار خـير لـك مـن أن تـأكل الحلـوى مـع الفجـار».

وردت هـذه الحكمـة في كتـاب "روضـة العقـلاء" للإمـام ابـن حبـان البسـتي – رحمـه اللـه –، في بـاب "ذكـر الحـثِّ عـلى صحبـة الأخيـار والزجـر عـن عـشرة الأشرار"، صفحـة ١٠٠

وقـال مـوسى بـن عقبـة -رحمـه اللـه-: «إن كنـت لألقـى الأخ مـن إخـواني فأكـون بلُقيـاه عاقـلاً أيامـاً»، أي متأثـراً بـه.

هـذا القـول ورد في كتـاب "روضـة العقـلاء ونزهـة الفضـلاء" للإمـام ابـن حبـان البسـتي – رحمـه اللـه –، ضمـن البـاب الخـاص بفضـل الصحبة الصالحـة وأثرهـا. وتحديـدًا في الجـزء الأول، الصفحـة ٩٢ .

١٤

علامات الصحبة الصالحة:

إذا صحبتـه زانـك .. وإذا خدمتـه صانـك .. وإذا أصابتـك فاقـة جـاد لك بمالـه .. وإذا رأى منـك حسـنة عدهـا .. وإن رأى سـيئة كتمهـا وسـترها .. لا تخـف بوائقـه، ولا تختلـف طرائقـه .. زينـةٌ في الرخـاء، وعـدَّةٌ في الشـدة.

ماذا تعني هذه الصفات؟

١. زيَّنك عنده: يظهرك بأخلاق وزهد وعلم.

٢. حماك عند خدمته: لا يضيرك بالغلط أو الإهمال.

٣. جاد لك عند الحاجات: يجود بماله عند حاجة لك.

٤. لا يغفل عن إحسان فعلتَه.

٥. يحصِّن سرَّك: لا ينشر خطأك، بل يغض في أحقادك.

هـؤلاء هـم أصحـاب رائحـة المسـك، ورفـاق الخـير، ونجـدة تثـق بهـا في الشـدائد.

جليـس السـوء...

إمّـا أن يُحـرِق قلبـك بالـكلام السـيئ .. أو يُتلـف دينـك بعـادةٍ خبيثـة .. أو يشـوِّه نظرتـك للدنيـا والنـاس .. أو يُسْـقطك في عـين اللـه ثـم في أعـين خلقـه.

علامات الصحبة السيئة:

لا خـير في صحبـة مَـنْ: إذا حدثـك كـذب .. وإذا ائتمنتـه خانـك .. وإذا اسـتودعته اتهمـك .. وإذا أنعمـت عليـه كفـرك .. وإذا أنعـم عليـك مَـنَّ عليـك.

إذن: يكـذب في كلامـه... يخـون الأمانـة... يتهـم بـلا دليـل... يكفـر معروفـك... ينقلـب عليْـك بالمَـنِّ.

- الصديق الصالح يزيِّنك، يحفظك، ينصرك، ويغفر لك.

- الصديق السيء يكذب، يخون، يظلم، وينقلب بالمنِّ.

فاختر مرآتك بعناية .. جليسك مرآتك... فإياك أن تجالس من يُسْقِطك من عين الله، ويُطفئ نور قلبك، ويعتاد معك القبيح حتى لا تعود تراه قبيحًا!

مثال الجليس الصالح:

ضرب لنا رسول الله ﷺ مثلًا عظيمًا للجليس الصالح والجليس السوء، بمثال محسوس يدركه الجميع، صغيرًا كان أو كبيرًا، عالمًا أو عاميًّا، فهو أمر واضح في نفعه أو ضرره، لا يحتاج إلى كثير تأمل.

سعادة الصحبة الطيبة

لقد سعد أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه بصحبة النبي ﷺ قبل بعثته، فلما بعثه الله عز وجل، لم يتردد لحظة واحدة في تصديقه واتباعه، فكان أول من آمن به من الرجال، وكان رفيقه في الهجرة، وصاحبه في الغار .. فصحبة واحدة غيَّرت مصيره، ورفعت درجته في الدنيا والآخرة.

وهكذا الجليس الصالح: يزيدك قربًا من الله .. ويثبِّتك على الطريق .. ويرتقي بك في الأخلاق والدين.

العِبرة: من تجالس؟ من تُدخل قلبك إليه؟ فالجليس ليس مجرد رفيق وقت، بل هو رفيق مصير.

مثال الجليس السوء

لنتأمل معًا .. قصة رجلٍ عاقل، حكيم، كبير في السن، له مكانته ومنزلته، وكان من أعظم المدافعين عن النبي ﷺ في قومه... إنه أبو طالب، عمُّ النبي ﷺ .. رجلٌ كان يملك فرصة النجاة... كانت الجنة على بُعد كلمة واحدة فقط! لكن من كان بجانبه في لحظة موته؟ هل كانوا مَن يُذكِّرونه بالله؟ هل كانوا مَن يأخذون بيده إلى النجاة؟ كلا! كان حوله أبو جهل وعبد الله بن أبي أُميَّة.

قال رسول الله ﷺ له: **« يَا عَمِّ! قُلْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِندَ ٱللَّهِ ...»؛ لكن جلساء السوء قالوا له: « أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟!» ، فلم يزالوا به، حتى مات على الكفر .. قال في آخر كلماته: « هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ».**

رواه البخاري (١٢٧٢)

عبرة تهزُّ القلب: لم ينفعه عقلُه، ولا مكانتُه، ولا صلتُه بالنبي ﷺ، بل أهلكه رفقاء السوء، وأدخلوه النار.

فمن جالس أهل الضلال، ضل... ومن جالس أهل الهدى، اهتدى.

أحسن اختيار الصديق:

فهلا راجعنا قوائم صداقاتنا؟

- من يجلس معك يوميًا؟
- من تستأنس بكلامه؟

- من يُطرب أذنك؟
- من له الأثر الخفي في قلبك؟

(الجلساء موازين... فَزِنْهُم جيدًا قبل أن يَزِنُوا مصيرك).

والإخوان اثنان:

- أحدهما: محافظٌ عليك عند البلاء.
- والآخر: صديقٌ لك فقط في الرخاء.

فاحفظ صديق البلية، وتجنَّب صديق العافية، فإنه من أعدى الأعداء.

اختـاروا لأنفسـكم ولمـن تحت أيديكـم: مجالسـةَ الصالحـين .. ومُرافَقةَ المسـتقيمين .. تسـتفيدوا الخـير .. وتسـلموا مـن الـشر في عاجلكـم وآجلكم.

واحـذروا مـن: مُخالطـة الأشرار .. ومُرافقـة أصحـاب السـوء؛ فـإنَّ في ذلـك الـشرَّ والدمـار في العاجـل والآجـل.

ينبغـي لـك أن تختـار صديقـك مـن النـاس كـما: تختـار الجميـل مـن المظاهـر، واللذيـذ مـن الطعـام، والسـائغ مـن الـشراب .. فـإن أهـل الـشر والدنـاءة لا يدخـرون لـك إلا: شرًّا، ودنـاءة.

ليـس كل مـن كان: جميـل اللسـان، عـذب الـكلام، دائـم الابتسـامة، أو بـدا لطيفًـا هـو صديـقٌ حقيقـي .. فلربـما أعجبـك ملمـس الثعبـان الناعـم... لكنـه لا يلبـث أن يلدغـك دون إنـذار! وقـد تؤذيـك صحبتـه مـرارًا، لا لأنـك أخطـأت، بـل لأن الإيـذاء طبعٌ فيـه لا يسـتطيع تغييره، فلا تتعـب نفسـك بطلـب توضيـح، ولا تنتظـر منـه اعتـذارًا، فأنـت تطلـب مـن العـاق أن يكـون حليـمًا، وهـذا مسـتحيل.

تعامـل مـع طبـاع النـاس بوعـي، فمـن لم يـؤذه طبعـه... لـن يُصلحـه عِتابـك .. في حيـاة البـشر، لا يتشـابه النـاس في طباعهـم ولا في معادنهـم،

فكما تختلف المعادن في قيمتها وصفائها وصلابتها، كذلك تختلف النفوس في أخلاقها وعمقها ونقائها.

وهذا ما أكّده النبي ﷺ في الحديث الشريف، حيث شبَّه الناس بالمعادن، وبيَّن أن الأرواح تلتقي وتتآلف بحسب ما تحمله من طبع وصفاء أو خبث ونفور؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا، وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ** ».

صحيح مسلم، برقم ٢٦٣٨

فهذا الحديث أصلٌ في فهم النفوس، وفي اختيار من تُجالس، ومن تُخالط.

بصيرة النبي ﷺ في معرفه الناس

كان النبي ﷺ: خبيرًا بأحوال بني آدم، من حيث النفاسة أو الوضاعة والخسَّة .. وكان بصيرًا بقلوب الناس، وبأحوال الأرواح التي تسكن بين جوانحهم.

علَّمنا ﷺ من ذلك كلِّه ما: ينفعنا في دنيانا وآخرتنا، ويُعيننا على حسن اختيار الناس، والتعامل معهم على قدر أحوالهم وطبائعهم. فمن اتَّبع هديه، سلم. ومن خالفه، خاب وخسر.

شرح حديث: «الناس معادن»

في هذا الحديثِ، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: **«النَّاسُ مَعادِنُ»**

أي: أصولهم مختلفة كما أن المعادن مختلفة: فمنهم النفيس،

ومنهم الخسيس. والمعدن: هو الشيءُ المستقرُّ في الأرض، ومنه يُستخرج ما في أصله من ذهبٍ أو حديدٍ أو غيرهما. وكذلك الإنسان: يظهر منه ما في أصله من شرفٍ أو دناءة، فإن الأصل الطيب لا يُخفي نفسه طويلًا.

قوله ﷺ: «خيارُهم في الجاهليَّةِ خيارُهم في الإسلامِ إذا فَقُهُوا»

أي: من كان شريف الأصل في الجاهلية، ثم أسلم وتعلَّم دينه، فإنه يبقى شريفًا في الإسلام، بل يزداد رفعةً بالفقه. فالأفضل من الناس: من جمع بين الكرم والشرف في الجاهلية، والعلم والفقه في الإسلام.

ما المقصود بالجاهلية؟

الجاهلية: هي فترة ما قبل الإسلام، وسُمِّيت كذلك بسبب كثرة الجهالات التي كانت تسودها.

شرح قول النبي ﷺ: «الأرواح جنود مجندة»

أخبر النبي ﷺ في الحديث الشريف أن: **«الأرواح جنود مجندة»** أي أنها: جُموعٌ مُجتمعةٌ، أو أنواعٌ مختلفةٌ، تُنسب إلى عالَمٍ سابق لعالم الدنيا، وهو عالم الأرواح.

فما تعارف منها ائتلف: أي: إذا توافقت الأرواح في الأخلاق والصفات، نشأت بينها الأُلفة والمحبَّة والصحبة في الدنيا. فتُعين بعضها على هموم الحياة، وتَجتمع على الخير والوُدِّ. فالتعارف: ناشئ من التشابه والتناسُب في الطباع، والقلوب، والأرواح.

وما تناكر منها اختلف: أي: إذا تنافرت الأرواح في عالم الغيب،

فإنها تختلف وتتباعد في الدنيا، حتى وإن تقاربت الأجساد ظاهريًّا. فالتناكر: ناتج عن الاختلاف في الفطرة أو الأصل، من حيث: الخير والشر .. الصلاح والفساد .. النقاء والخبث.

معنى الحديث باختصار:

- الأرواح خُلقت على أشكال مختلفة وشواكل متباينة في عالم الأرواح.
- فإذا تشابهت الأرواح، تعرفت وتآلفت في الدنيا.
- وإذا اختلفت الأرواح، تناكرت وتباعدت، ولو عاش أصحابها في مكانٍ واحد.

وقد يحتمل الحديث أيضًا إشارة إلى أن الأرواح تتشاكل في طريقها: فالصالحُ إلى الصالحين يميل، والفاسدُ إلى الفاسدين يأنس.

الأرواح خُلقت على طبائع مختلفة، فالخَيِّرُ من الناس يحنُّ إلى شَكله، والشرِّيرُ يميل إلى نظيره .. فإذا اتّفقت الأرواح في الطبع والأصل، تعارفت وتألفت .. وإذا اختلفت، تباعدت وتنَاكرت، ولو ظاهريًا بدا بينها تقارب.

مغزى الحديث:

- التعارف والتآلف بين الناس ليس مجرد مواقف أو مصالح، بل هو نتاج توافق الأرواح في الخير أو الشر.
- الصالحون يتجاذبون، والفاسدون يتآلفون، وقلوب البشر تميل بطبعها إلى من يشبهها في الروح والمبدأ.
- في الحديث أيضًا: فضل التقوى، وفضل العمل الصالح،

وفضل الفقه في الدين؛ لأنها من أسباب رفع شأن الإنسان وتقريب الأرواح الطيبة منه.

تعليق الإمام ابن حجر رحمه الله:

"فيه النهي عن مجالسة من يُتَأَذَّى من مجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة من يُنْتَفَعُ بمجالسته فيهما".

فتح الباري، شرح صحيح البخاري

- اختر صاحبك بقلبك وروحك، لا بمظهَرِه فقط.
- فما وُفِّق قلبٌ إلى قلبٍ إلا لأنه وُفِّق له من عالم الأرواح قبل عالم الأجساد.

الناس أجناس .. والقلوب تميل إلى أشباهها .. لو دخل مؤمنٌ إلى مجلسٍ فيه مائة منافقٍ ومؤمنٌ واحد، لَمَا زال يمشي حتى يجلس إلى ذاك المؤمن .. ولو دخل منافقٌ إلى مجلسٍ فيه مائة مؤمنٍ ومنافقٌ واحد، لظلَّ يبحث حتى يجلس إلى شبيهه.

فـ"الطيور على أشكالها تقع"، وكذلك الناس: الأرواح جنودٌ مجندة، ما تشابه منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف.

احذر الصداقة الزائفة:

إن الصداقة المبنية على المصالح الدنيوية، والمحبة المصطنعة لأجل المنافع العاجلة، هي محبة هشة، مزيّفة، لا تصمد أمام العواصف. فإذا هبت رياح المصلحة، فرَّقتها، ومزَّقتها، لأنها لم تُبنَ على: أصلٍ ثابت، ولا على تقوى، ولا على إخلاصٍ لله.

فاصدق في مودتك، واصطفِّ من يُذكِّرك بالله؛ فإن صداقات

القلـوب أبقـى مـن الصداقـات القائمـة عـلى مصالـح دنيويـة .. ومـا بُنـي للـه دام واتصـل .. ومـا بُنـي لهـوى زال وانفصـل، فاخـتر صحبـك بعنايـة.

قـال الحكـماء: "صاحـب العقـلاء تُنسـب إليهـم وإن لم تكـن منهـم، ولا تصاحـب الجهـال فتُنسـب إليهـم وإن لم تكـن منهم".

في كتاب "حلية الأولياء" لأبي نعيم – الجزء ٤، الصفحة ١٣.

فالصُّحبـة ترفعـك أو تضعـك، وتلصـق بـك مـن الصفـات مـا لم تفعلـه بيـدك.

۞ لا بد للإنسان من المخالطة:

الإنسـان لا يعيـش وحـده في هـذه الحيـاة، بـل لا بـد لـه مـن: مخالطة الناس، واتخـاذ بعضهـم جليسًـا، واتخـاذ آخريـن عونًـا في مشـكلات الحيـاة .. لكـنَّ النـاس مختلفـون في: أخلاقهـم، طباعهـم، عقولهـم. فمنهـم:

١. الخيِّر الفاضل: يُنتفَع بصحبته، ومشاورته، ومجاورته.

٢. والـرديء ناقـص العقـل: يُتَـضرر منـه، ويجلـب القُـرب منـه الـشرَّ والنكـد، وتكـون صداقتـه وبـالًا عـلى الديـن والدنيـا.

۞ حديث يُظهر أصل هذا التفاوت:

قـال رسـول اللـه ﷺ: « **إِنَّ اللَّـهَ تَعَـالَى خَلَـقَ آدَمَ مِـنْ قَبْضَـةٍ قَبَضَهَـا مِـنْ جَمِيـعِ الْأَرْضِ، فَجَـاءَ بَنُـو آدَمَ عَـلَى قَـدْرِ الْأَرْضِ؛ جَـاءَ مِنْهُـمُ الْأَحْمَـرُ، وَالْأَبْيَـضُ، وَالْأَسْـوَدُ، وَبَـيْنَ ذَلِـكَ، وَالسَّـهْلُ، وَالْحَـزْنُ، وَالْخَبِيـثُ، وَالطَّيِّـبُ، وَبَـيْنَ ذَلِـكَ** ».

أخرجه أبو داود (حديث رقم ٤٦٩٣) بإسناد صحيح.

أي: كما أن الأرض أنواع، فكذلك الناس طباع وألوان وأخلاق. فاختر جليسك بعناية.. فالصحبة تصنعك: اختر الصاحب الصالح .. وابتعد عن رفقة السوء .. وكن ممن يُنسب إلى الخير، وإن لم يبلغ كماله .. ولا تُجالس من يُلحق بك الشر، ولو كنت بريئًا منه.

إن الإنسان لا يستطيع أن يعيش في عزلة تامة عن الناس؛ فهو بحاجة إلى مخالطتهم ومجالستهم في: الأسواق، والبيوت، والمدارس، والمكاتب، وكل موضع من مواضع الحياة .. لكن هذا الاختلاط ليس محايدًا، بل له أثر بالغ في نفسك وعقلك وسلوكك. ضع هذا الحديث الشريف دائمًا أمام عينيك.

قال رسول الله ﷺ: **« مِثْلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، أَوْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، أَوْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، أَوْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً».**

رواه البخاري ومسلم

اختر جلساءك كما تختار طعامك .. لا تجالس إلا الصالحين، ولا تصحب إلا الطيبين، اجعلهم زملاءك، وشركاءك، ومستشاريك؛ فإنهم يؤثِّرون فيك، كما تؤثِّر النار في الحديد، وكما يؤثِّر الطِّيب في الثوب الأبيض.

في النفس قابلية شديدة للتأثر:

النفس البشرية تتأثر بمن حولها: في اعتقاداتها، أفكارها، أخلاقها، أعمالها، وسلوكها .. وهذه المؤثرات قد تكون: صحيحة نافعة، أو باطلة ضارة .. وكل إنسان فيه خلائق وطبائع قابلة للتصدير، فإذا وجد من يُشجعه عليها، ظهرت منه وانتشرت.

الوصية الجامعة:

لا تختـر مـن تصاحـب بنـاءً عـلى المظهـر أو المصلحـة، بـل عـلى الخلـق والديـن والعقـل، فهـم عُـمَّار القلـب، لا عُـمَّار الجيـب.

اللهم إني أعوذ بك من صاحب السوء:

عـن النبـي ﷺ أنـه كان يسـتعيذ باللـه مـن شر الجليـس فقـال: "**اللَّهُـمَّ إِنِّي أَعُـوذُ بِـكَ مِـنْ يَـوْمِ السُّـوءِ، وَمِـنْ لَيْلَـةِ السُّـوءِ، وَمِـنْ سَـاعَةِ السُّـوءِ، وَمِـنْ صَاحِـبِ السُّـوءِ، وَمِـنْ جَـارِ السُّـوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَـةِ**".

رواه الطـبراني في المعجـم الكبـير (٨١٠)، وصححـه الألبـاني في صحيـح الجامـع (١٢٩٩)، وحسـنه في صحيـح الأدب المفـرد رقـم (٨٦).

ما معنى: اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء؟

اسـتعاذة باللـه تعـالى مـن يـوم فيـه القبـح والفحـش، والـشر، وتكـون فيـه المصائـب، ونـزول البـلاء، والغفلـة، فهـذه اسـتعاذة كاملـة مـن كل سـوء وشر يقـع في اليـوم.

ما معنى: ومن ليلة السوء؟

عطف الخاص على العام، ومن ليلة ينزل فيها شر، وسوء وبلاء.

ما معنى: ومن ساعة السوء؟

تخصيـص بعـد تخصيـص؛ لشـدة الافتقـار إلى حفـظ اللـه تعـالى للعبـد في كل الأزمنـة، وفيـه بيـان أن العاصـم هـو اللـه جـل وعـلا، لا أحـد سـواه، وأن العبـاد لا غنـى لهـم عنـه تعـالى طرفـة عـين في كل الأحـوال والأوقـات.

ما معنى: ومن صاحب السوء؟

أي: الذي ليس فيه صلاح، فإن مصاحبته فيها ضرر وهلاك في الدنيا والآخرة، وكما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا (٢٩)﴾ [الفرقان، ٢٧-٢٩].

ما معنى: ومن جار السوء في دار المقامة؟

جار شره دائم، وأذاه ملازم، لا يأتمر بأمر الله تعالى، ولا ينتهي عن نواهيه، ومنها معرفة حق الجار، ويشمل جار المقام: الزوجة، والخادم، والصديق الملازم، وفيه إيماء إلى أنه ينبغي تجنب جار السوء، والتباعد بالانتقال عنه إن وجد إلى ذلك سبيلا؛ لأن صاحب السوء قد يفسد عليك دينك ودنياك، يُفسد قلبك، ويُفسد سلوكك، ويُؤَثِّر على روحك وعقلك من حيث لا تشعر.

۞ خير ما يُسأل: العافية.

وقد قال النبي ﷺ: **" سَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ».** رواه الترمذي (٣٥٥٨) وصححه الألباني.

ولهذا كان العبد الفطن يُلحُّ في سؤاله العافية، فهي خير ما يُسأل به الله جلَّ وعلا .

۞ عافيتك... ليست فقط في بدنك:

اجعل سؤالك للعافية شاملاً، واسعًا، عميقًا:

- عافية قلبك: من الحقد، والضغينة، والشهوات.
- عافية نفسك: من الاضطراب والهم والضيق.
- عافية روحك: من القلق والتشتت والبعد عن الله.
- عافيـة فكـرك وعقلـك: مـن الضـلال والشـك والشـبهة، ومـن الجنـون والخـرف والوسـاوس.
- عافية بدنك: من المرض والعجز.
- عافية مشاعرك: من الأذى النفسي والانكسار العاطفي.
- عافيـة نفسـيتك: وهـي الصحـة النفسـية التـي تعينـك عـلى الاسـتقامة.
- عافيـة عقلـك المـدرك: أن لا تفقـده بخبـلٍ أو غفلـةٍ أو جهـلٍ أو شـبهات.

اللهـم اجعلنـا مـن عُقـلاء القلـوب، واجعلنـا ممـن يأنـس بالطيبـين، ويبتعـد عـن جُلسـاء السـوء، ويمـوت عـلى عافيـة الديـن والدنيـا .. آمـين.

المراجـــــع:

- حديث «إنما مثل الجليس الصالح..» الموقع الرسمي للشيخ أ.د. خالد سبت.
- الموسوعة الحديثية - الدرر السنية - شروح الأحاديث «إنما مثل الجليس الصالح ...».
- الجليس الصالح وجليس السوء - سعد بن عبدالله الحميد - موقع ملتقى الخطباء.
- الجليس الصالح وجليس السوء- خالد بن سعود الحليبي - موقع ملتقى الخطباء.
- في تأثير المخالطة- الشيخ عبدالعزيز بن محمد العقيل - موقع ملتقى الخطباء.
- التحذير من مخالطة الأشرار- صالح بن فوزان الفوزان - موقع ملتقى الخطباء.